

## محاضرة: الوحي: تعريفه، أنواعه، كيفياته، شبّهات حوله

مقدمة:

- ضرورة الوحي للنبوة.

### أولاً: الوحي لغةً واصطلاحاً:

أ- الوحي في اللغة:

- أصل معاني الوحي في اللغة كلُّها ترجع إلى الإعلام في خفاء؛ ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً.
- وكذلك الإشارة والإيماء يُسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً ... وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها.

ب- الوحي في الاصطلاح:

- هو أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهدية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.
- سئل الزهرى عن الوحي فقال: الوحي ما يُوحى الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلّم به ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلّم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن أمره أن يبيّنه للناس، ويبلغهم إياها.
- والوحى إذا أطلق في لسان أهل الشرع انصرف إلى التعليم السري الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء، فهو أخصُّ من المعنى اللغوي بخصوص مصدره ومورده.

ثانياً: أنواع الوحي:

- جَمَعَ أَنْوَاعَ الْوَحْيِ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكْمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

- تقييد هذه الآية الكريمة: أنه ما صح لأحد من البشر أن يخاطبه الله تعالى إلا على أحد ثلاثة أوجه: وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً.

أ- الوجه الأول: وحِيًّا، ويشمل: الإلهام، والرؤيا في المنام:

١- وحِيًّا: (الإلهام والقذف في القلب):

- كما أوحى الله تعالى إلى أم موسى: «أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْبَيْمَ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّ رَادُوْهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» [القصص: ٧].

- ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ رُوحَ الْقَدْسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكِمَ أَجْلَهَا وَتَسْتَوْعَ بِرِزْقِهَا ...)).

٢- وحِيًّا: (الرؤيا في المنام):

- كما أوحى الله إلى إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، قال تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابْنَيَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَحْدِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» [الصفات: ١٠٢].

- ومنه مبدأ وحي النبي محمد صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحديث الصحيح.

ب- الوجه الثاني: من وراء حجاب:

أي: أن يسمعه من غير واسطة مبلغ، كما أسمع الله تعالى موسى كلامه من غير واسطة، قال تعالى: «وَرَسُولاً قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ وَرَسُولاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤]، وكذا الملائكة الذين كلامهم الله تعالى في خلق آدم عليه السلام.

ج- الوجه الثالث: أن يُرسل رسولاً:

- أي: أن يُرسل إليه رسولاً من الملائكة، فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي إلى الرسول البشري.

- رسول الملائكة هو جبريل عليه السلام.

### ثالثاً: كيفيات نزول الوحي:

لنزول جبريل عليه السلام بالوحي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كيفيات عدّة، وفيما يأتي بيانها:

#### أ- إن يأتي بصورته الحقيقة:

أي أنَّ جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على صورته الحقيقة الملكية: ((رأى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّمَائَةٍ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَ الْأَفْقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ<sup>(١)</sup> وَالدُّرُّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيهِ)).

#### ب- إن يأتي بصورة رجل:

أي أنَّ جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على صورة رجل فيكلمه، كما ثبت في الصحيح: ((وَاحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فِي كَلْمَنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ)), وفي رواية: ((وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ))، فيراه الحاضرون ويستمعون إليه.

#### ج- أن يأتي خفية دون أن يراه أحد:

أي أنَّ جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أثر التغيير والانفعال، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يصف حالته عند الوحي في هذه الصورة، فيقول: ((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَالِصَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)).

- والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سمعه للوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره، وجاء في الصحيح أنَّ هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه، وقيل: إِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَنْزَلُ هَذَا، إِذَا نَزَّلَتْ آيَةٌ وَعِيدٌ أَوْ تَهْدِيدٌ.

<sup>(١)</sup> المراد بالنهاويں هنا: تَرَابِينَ رِيشِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ صُفْرَةٍ وَحُمْرَةٍ وَبَيْاضٍ وَحُضْرَةٍ مِثْلَ نَهَاوِيلِ الرِّيَاضِ؛ وَيُقَالُ لِمَا يَخْرُجُ مِنْ أَلوانِ الرَّهْرِ فِي الرِّيَاضِ النَّهَاوِيلِ، وَاحِدُهَا تَهْوَلُ، وَأَصْلُهَا مَا يَهُوُلُ الْإِنْسَانُ وَيُحَيِّرُهُ. يَنْظَرُ: لِسانُ الْعَرَبِ، مَادَةٌ: (هُولٌ)، ٢١٣/١١.

## رابعاً: شبهات حول الوحي:

أثيرت حول الوحي، قديماً وحديثاً، شبهات عدّة من قبل المخالفين؛ لأنَّ الطعن في الوحي يؤدي إلى الطعن في النبوة، إذ به تلقي الأنبياء عليهم السلام معارفهم عن الله تعالى، بوساطة الملك الموكِل بذلك، وتخلص تلك الشبهات في دعوات سبق إليهم الكفارة المشركون من قبل، حين زعموا أنَّ النبي ﷺ - حاشاه - مجنون، أو هو مجرد أحلام، أو اتهامه بالكذب، أو أنَّه يعلم بشر، أو أنَّه مصاب بمرض عصبي، ونحو ذلك مما أبطله القرآن وفصل فيه علماء الإسلام ومفكروه، ولكن منكري النبوة والطاعنين بالوحي في هذا العصر، صاغوا شبهتهم تحت اسم: "الوحي النفسي"، التي وجدت لدى المنكري ومثيري الشبهات مرتعًا خصيًّا، لا سيما اليهود من المستشرقين،<sup>(٢)</sup> لما فيها من التلبيس الخبيث والمكر في الدسّ والافتراء الذي يُضفي على هذه الفرية مسحة كاذبة من دعوى البحث العلمي المعاصر؛ لذا نذكر فيما يأتي أبرز الوجوه التي تدل على بطلان هذه الدعوى:

١- تعتمد شبهة: "الوحي النفسي" على دعوى المرض العصبي، وهو كذب واضح يدل على الجهل الفاضح بشخص النبي ﷺ وبالقرآن الكريم، فال التاريخ يشهد بأدلة القاطعة للنبي ﷺ أنَّه كان أعظم الناس خلقاً، وأوسعهم أفقاً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم يداً، لا تصمد أمامه معضلة، ولا يعتقد أمامه موقف إلا واجهه بأحسن الحلول وأعلاها وأفضلها، وأنَّه كان أفصح الناس لساناً وأعذبهم بياناً، مما يشهد بأنَّه صلى الله عليه وسلم أكمل العالم عقلاً وتفكيراً وأنَّه أمة وحده في علوِّ أخلاقه وثباته وحلمه، وكمال عقله ورباطة جأشه.

٢- إعجاز القرآن، فإنَّ نفس الرسول ﷺ مهما صفت فإنَّها ستظل كسائر المتعبدين والعباقرة يأتون بالشيء العظيم لكن لا يعجز أمثالهم أن يلحقوا بهم أو يسبقوهم وينتفعوا عليهم، وهذا القرآن الذي أوحى به إلى محمد بن عبد الله ﷺ مُعْجزٌ تحدي الجن والإنس، والأولين والآخرين، فلا يمكن أن يكون هذا الكتاب إلا من عند الله.

٣- إنَّ واقع الوحي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنَّه آتٍ من ذات مستقلة خارجة عن ذات النبي ﷺ وذلك واضح في حديث بدء الوحي في غار حراء، حيث إنَّ الملك جاء إلى النبي ﷺ فجأة كما في الحديث الصحيح المتافق عليه: ((فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخْذُنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهَدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَلَتْ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخْذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهَدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ...)).

<sup>(٢)</sup> مثل: المستشرق جولد زيهر.

٤- إنَّ الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحثه لدى وقوع المهمات، فربما كان في بيته يأخذ شيئاً من الراحة فينهض والبشر على محياه، كما في خبر نزول سورة الكوثر، ومن القرآن ما تنزل في هزيع أخير من الليل، كآية التوبه على الثلاثة الذين خلُّوا؛ ولهذا كثُرت أقسام القرآن بحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيئاً، ومنه ... ومنه، مما فصله علماً وعلماً في مصادر علوم القرآن.

٥- إنَّ عبقرية الإنسان مهما سمت وارتقت فإنَّها لا تخرج عن قانون الزمان والمكان، وتتقيد بحدودهما وأفاقهما، بينما نجد القرآن يتخطى دائماً نطاق حدود معارف الإنسان، لا معارف النبي وبئته، بل معارف عصر نزول القرآن جميعاً، ثمَّ معارف العصور اللاحقة، فضلاً عما في القرآن من تصحيح لنتائج المعرف وتقويم عوجها من جذورها، ليدلَّ القرآن من خلال رحابة موضوعاته إلى أنَّ دور النبي محمد ﷺ فيه إنَّما هو الحفظ والوعي، أو الأخذ والتلقي، ثمَّ الإبلاغ للعالم، فإنَّ لم يكن هذا وحياً من يعلم السر في السموات والأرض فأيِّ شيء يكون؟!.

وفي ضوء ما سبق فإنَّ الوحي أمر طارئ زائد على الطابع البشرية، خارجي عن النفس والباطن، لا يخضع لأيِّ تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي ﷺ عن الله تعالى، بواسطة المَلَك الموكِل بذلك، ليُعلِّمه بما شاء من ألوان الهدایة والعلم.

## خلاصة محاضرة: الوحي: تعريفه، أنواعه، كيفياته، شبهات حوله

- الوحي لغةً: الإعلام في خفاء.

- الوحي اصطلاحاً: هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهدایة والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتمدة للبشر.

- أنواع الوحي: على ثلاثة أوجه: **الوجه الأول**: وحياً، ويشمل أمران: الإلهام والقذف في القلب، والرؤيا في المنام، **والوجه الثاني**: من وراء حجاب، **والوجه الثالث**: أن يرسل رسولاً.

- كيفيات نزول الوحي: لنزول جبريل عليه السلام بالوحي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث كيفيات: **الأولى**: إن يأتي بصورته الحقيقة، **الثانية**: إن يأتي بصورة رجل، **والثالثة**: أن يأتي خفية دون أن يراه أحد.

- أثيرت حول الوحي، قدِيمًاً وحديثًاً، شبهات عدَّة، وكلها باطلة، وكان من أبرز الشبهات المعاصرة، شبهة: "الوحي النفسي"، التي تُنسب الوحي إلى شخص النبي ﷺ، وقد تبيَّن بطلانها أيضًا.

وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله رب العالمين  
وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ